

**قضية**

أي لوثه أصابت متفضي فرنسا؟ في موطن إريك زولا وجان بول سارتر، الذي لُقّب العالم مفهوم «سلطة المثقف»، بوصفها صقلم إمان أخلاقي في مواجهة كل أشكال الظلم والاستبداد والتفرد العنصرية؟ لم تعد المحاضيا والإشكاليات المجتمعية، التي تُورّث الناس وتشكّل الرأي العام، تجد رجاك ونساء الفكر

## رهاب الإسلام وطيف إسرائيل في طلب النقاش المحتدم

# عن تلك «الضحالة الفكرية»\* التي أنجبت «الرجعيين الجدد»

في الرابع من نيسان (أبريل) الماضي، ضجّ الرأي العام الفرنسي بجريمة بشعة تمثلت في اغتيال عجزون يهودية في الخامسة والثمانين، تدعى ميراي كنول، على يد شاب فرنسي من أصول عربية تعرض لغسيل دماغ من قبل جماعة إسلاموية متطرفة، واعترف في التحقيق أنه قام بالاعتداء على تلك العجزون، ورميها من نافذة شقتها في الطابق الخامس من عمارة شعبية في الدائرة الثالثة عشر من باريس، فقط لتكونها يهودية، ولأن اليهود، كما تم تلقيبه، هم «عداء الله»

شكلت تلك الجريمة، التي جسّدت رهاب عداء السامية في ابشع صوره وأكثرها دموية، صدمة كبيرة للمجتمع الفرنسي. سارعت جمعيات من مختلف المشارب والتوجهات، بما فيها جمعيات ثقافية ودينية تمثل الجاليات المسلمة في فرنسا، إلى تنظيم «مسيرة بيضاء» عارمة تندمداً بمثل هذه الأعمال الجبانة. لكن النخب الثقافية شدّت عن ذلك الإجماع، بدل اتخاذ موقف أخلاقي يشجب تلك الجريمة، على غراز أي اعتداء ذي طابع عنصري أو عرقي، سعى كل فريق لاستغلالها من أجل ضرب خصومه، مما حوّل

القضية إلى مطية لتراشق التهم، عبر العرائض والبيانات المضادة، بين «الرجعيين الجدد» و«مقفّي اليسار»، وبين «العلمانيين»

وأنصار «التعاضّ الطائفي». عوض تضمين حالة الإجماع التي حققتها «المسيرة البيضاء» ضد

جريمة اغتيال ميراي كنول، وقد سار خلالها عشرات الآف الفرنسيين، من مختلف الأصول والأعراق والديانات، جنباً إلى جنب، تنديداً بالجرائم العنصرية والمعادية للسامية، فتفتقت عقريّة «الرجعيين الجدد»، الذين بسطوا هيمنتهم على المشهد الثقافي والإعلامي الفرنسي، عن عريضة عربية تعقب بالمكارتية والإسلاموفوبيا أطلقوا عليها تسمية «بيان ضد عداء السامية الجديد».

بعد ديباجة سعت لتدثر بعباءة القيم الجمهورية، من منطلق أن «محرارية عداء السامية ليست قضية اليهود وحدهم بل هي قضية الجميع»، سرعان ما انشق البيان منذ فقرته الثانية نحو منزلقات المكارتية والإسلاموفوبيا، من خلال التشهير باليسار الراديكالي المعادي للصهيونية، والتخريض ضد الجالات المسلمة الفرنسية.

لم يتردّد البيان، الذي حمل توقيع 300 شخصية ثقافية وفنية وسياسية، في مقدمها أقطاب تيار «الرجعيين الجدد» (باسكال برونكير، برنار هنري ليفي، الآن فينكلركوت، فيليب فال...)، في وصف الاعتداءات ذات الطابع

المعادي للسامية التي تشهدها فرنسا بأنها «تطهير عرقي يجري على نار هادئة»، واضعاً على قدم

والثقافة والفن، ليقفوا جميعاً. على اختلاف توجهاتهم ومشاريهم، في صف واحد: هوصف الضحايا والمسحوقين والمستضعفين، أيًا كانت أصولهم وديانهم والوان بشرتهم، خلافاً للتقليد النقاضي الليبرسي المتبد، الذي صقلته النضالات الطليعية والتجارب الثورية، على مدى قرون، منذ ثورة 1789 إلى انتفاضة ايار/ مايو 1968. لم

**كلمات****كلمات**

يعد لدى مثقفي اليوم في فرنسا القدر ذاته من التجرد والتعالّي عن المصالح الضيقة والحسابات النفعية العابرة، من أجل تغليب الموقفة الأخلاقي على أي انتماءات أو ميول فكرية أو حزبية أو دينية، فقد سيطرت على المشهد الثقافي الفرنسي نخبة من «الرجعيين الجدد»، الذين بات شغلهم الشاغل استغلال وتوظيف أي قضية أو ظاهرة

أو إشكالية من شأنها أن تشكّل الرأي العام أو تثير اهتمامه من أجل تلميع صورتهم والترويج لاطروحاتهم الفكرية المغرقة في الفردانية والتعالّي والعداء لكل ماهو مغاير أو مناوئ لنظرية «التفوق الحضاري»، «الرجل الأبيض» الغربي.

باريس... **عثمان تفرات**

## بالأرقام

أشارت إحصائيات أعدتها اللجنة الوزارية لمحاربة العنصرية ومعاداة السامية إلى أن أعمال العنف الناجمة عن الإسلاموفوبيا تزايدت في فرنسا بمقدار ثلاثة أضعاف، منذ هجمات باريس الإرهابية في تشرين الأول/ أكتوبر 2015، إذ ارتفعت أعداد الاعتداءات التي تستهدف المسلمين بمقدار 223 في المئة بمعدل 429 اعتداء سنوياً، بينما سجلت الاعتداءات العنصرية بشكل عام زيادة مقدارها 17,6 في المئة، لتصل إلى 797 اعتداء سنوياً. أما العنف ذو الطابع المعادي للسامية، فقد سجل خلال الفترة ذاتها، تراجُعاً طفيفاً بمقدار 1,8 في المئة. لكن الاعتداءات المعادية للسامية تبقى الأكثر عدداً في فرنسا، بما معله 806 هجمات سنوياً.

### على العنف وعداء السامية، ولا

يدخل رد فعل الجمعيات الإخوانية بدورها من سوء النية، من خلال تعتمد تحويل النقاش إلى جدل بين «غلاة العلمانيين» وأنصار «التعاضّ السلمي بين الطوائف والأديان». في خصم هذا التراشق، بادرت مجموعة من الشخصيات الثقافية، على رأسها المؤرّخ بنجامين ستورا، وعالم الاقتصاد توما بيكيتي، والفيلسوف إيتيان باليبار، إلى نشر نصّ جماعي في صحيفة «لوموند» شجّبوا فيه «البيان ضد عداء السامية الجديد»، معتبرين أنه «يشكّل نداء إلى العنف وتحريضاً على حرب أهلية لا تريد الإفصاح

### لا يهدف «الرجعيون الجدد»

### للإسهام في إصلاح الفكر الديني

### الإسلامي، بل للترويج بان القرأت

### يحرص على العنف وعداء السامية

### عن اسمها في شكل صريح».

الفرنسيين ذوي الأصول المغاربية وأغاب موقعه النص على البيان «تجاهله الكامل لعداء السامية ذي الخلفية اليمينية المتطرفة، وتعده خلط المغاهيم بهدف زرع اللبس بين السلفية كاديوبولوجيا سياسية ودينية، وبين الإسلام الذي يراد تصويره في عمومه كديانة تنادي بالعنف، والربط بين معاداة الصهيونية ومعاداة السامية، للإحاء بان أي احتجاج على السياسات الاستيطانية والعنصرية الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين يندرج ضمن رغبة مبيتة في تدمير اليهود». من جهتها، فتحت صحيفة «ميديا بارت» صفحاتها لبيان مضاد، بعنوان «ضد العنصرية ومعاداة السامية... والإسلاموفوبيا»، حمل توقيع نخبة بارزة من الشخصيات العلمانية واليسارية، من الآن كريفين إلى لوران ليفي، مسرورا باوليفييه بورانسنو وصوفي بن سعيد، وميراي فانون ماندين فرانس.

بعد التأكيد على ضرورة «التنديد بعداء السامية، ومحاربة أي عمل إجرامي أو اعتداء من هذا الصنف،

”

“

من سلسلة

«مصلح»

للزائر

فضح بفرسان

(فوتوغرافيا -

60 x 75 سنة

(2010).

\* العبارة مستعارة

من توصيف المصكر الفرنسي

إيمانوئيل تود

